برنامج تربوي بعنوان

الإنجاز

أ. أناهيد بنت عيد السميري

ذو القعدة ١٤٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الأول يوم الأحد ٦ ذو القعدة ١٤٤٣هـ

الحمد لله ربّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

نسأل الله أن تكون هذه اللقاءات نورًا لنا في التفكير، وبصيرة في القلوب، تهدينا إلى الصراط المستقيم، ونكون حقًا منجزين.

أهمية ضبط مفهوم الإنجاز.

من المشاكل التي نعيشها اليوم تبنّي مفاهيم مشوشة أو مغلوطة في محتواها، ثم محاسبة النفس ومعاقبتها على أساس هذه المفاهيم، ونجد أنَّ مثل هذه المفاهيم تنتشر في المجتمع انتشار النَّار في الحطيم حتى يصبح الخلق جميعًا-إلاَّ من رحم ربي- موافقين على هذه المفاهيم التي يمكن أن تكون مشوشة أو مقلوبة.

هل لهذه المفاهيم المشوشة أو المغلوطة أثر؟

- نعم يكون لها أثر على نفسيَّة الخلق، وعلى انشراح صدورهم.
- يكون أثرها على رضاهم عن ربهم.
- ومن ثمَّ رضاهم عمَّا رزقهم الله.
- ومن ثمَّ رضاهم عن أسلوب حياتهم التي يعيشونها.

ومما هزَّ الوجدان، ما حصل قريبًا في مجتمعنا الإسلامي من انتشار التعدّي على الأبناء وقتلهم تحت عناوين مفجعة! ربما يكون هؤلاء الأشخاص غير أسوياء، لكن كثير مما يُحكى أو يُكتب حتى بأيديهم، كما في الحادثة الأخيرة، أنَّ هذا القتل إنَّما كان بسبب أنَّنا لم نصل في الحياة إلى ما نود أن نصل إليه، لم نصل في الحياة إلى ما يمكن أن نسميه إنجاز، فلنعتدِ على الروح التي وهبنا الله إيَّاها ونقتلها ونتخلص منها!، وكأنَّ الروح الإنسانية صفحة في كتاب نشقه ونمزقه ونأتي بخير منه.

مثل هذه الأحداث التي تكررت في الفترة الأخيرة، وبعضها أُذيع وأُشيع وعُرف وبعضها ما حصل له نفس الإذاعة لكنَّه على نفس النمط، كلها أمور مفجعة، مزعجة، تبيّن وقوع المجتمع في مقاييس غاية في الفساد، يمكن أن تكون هذه الأحوال ناتجة عن اضطرابات عقلية، -هذا صحيح- لكن يمكن أن يكون بداية الاضطراب العقلي اضطراب نفسي، سواء أكان جنون دائم أنَّه فقد عقله تمامًا، أو متقطع بمعنى أنَّ صاحبه يفيق منه، لكن يمكن أن يكون فقدان العقل نفسه مبدؤه مرض نفسي، أو اختلال في المفاهيم، ومن أكثر المفاهيم التي حصل فيها اختلال مفهوم الإنجاز.

ما هو الإنجاز الذي بسببه تكون نفسي مطمئنة في الحياة، لا تزعجني نفسي، ما هو هذا الإنجاز الذي تطمئن به النفوس؟ وهل لا بد من إنجاز؟ لماذا خرجت هذه الكلمة على السطح وأصبح كل منّا يحاول أن يصنع له مجدًا من الإنجازات، ماذا أنجزت في حياتك؟

هناك ضرورة نفسية للإنجاز، وكلمة الإنجاز شديدة التشابك مع كلمة المسؤولية، الإنَّسان كلما شعر بمسؤولياته كلما حثته نفسه على الإنجاز.

مفهوم الإنجاز اختلط واستوردت تفاصيله من المجتمعات التي عبدت الدّينار والدّرهم، فلما عبدوا الدّينار والدّرهم والخميلة والخميصة تعسوا، كما أخبر النَّبي ﷺ، كما دعا عليهم النَّبي ﷺ: "تعِس عبدُ الدّينارِ، تعِس عبدُ الدّرهمِ" من المؤكد أنَّه تعس، لماذا يتعس عبد الدّينار وعبد الدّرهم وعبد الخميلة وعبد الخميصة؟ لأنَّ هذا عنده الإنجاز كما أخبر النَّبي ﷺ: "إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ،"

بل النَّبي ﷺ يقول عنه: "تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ"

وفي مقابل ذلك قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-:"طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إنْ كانَ في الحِرَاسَةِ، كانَ في الحِرَاسَةِ، وإنْ كانَ في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقَةِ، إذا اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ له، وإنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ."[1] وهنا معنى عجيب؛ لأنَّ هذا الحديث خاصة من أكثر الأحاديث التي تُبيّن الانقلاب في مفهوم هذا

[1] رواه البخاري

الإنجاز وتعيد وزن هذا المفهوم، والنَّبي ﷺ لما خبرنا هذه الأخبار، وكان هذا الدُّعاء منه إنَّما كان تحذير من أن ينقلب المجتمع في مسألة الإنجاز هذا الإنقلاب، لأنَّ النَّاس لما يتخذوا إلههم هواهم ويصبح المال هو الغاية، وتحقيق الشهوات هو الإنجاز، عمله كله لتحصيل هذه الشهوات وطلبها فهذا لا يقوم بدوره ولا يقوم بوظيفته.

في مقابل ذلك أنَّ أسعد النَّاس، قال عنه النَّبي ﷺ: "طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ"[1] هذا عاش لله عزّ وجل، عاش طالبًا لرضاه، وعاش أينما كان، في المقدمة أو في المؤخرة، في الساقة أو في الحراسة، لا بأس، المقصد أنَّه يقوم بما يوصله إلى رضا ربّ العالمين، فليس عبدًا لشهوته وهواه.

وتصور هذا الحديث كيف يضبط لنا المفاهيم ويعيننا على السَّير في الصراط المستقيم.

ما معنى تعس عبد الدّينار وعبد الدّرهم وعبد الخميصة وعبد الخميلة؟

يعني عثر وسقط على وجهه.

والدّينار: من الذهب.

والدّرهم: من الفضة.

والخميصة: هي شيء من الملبوس الذي يلبسه النَّاس ويكون له عندهم قيمة، ويكون صاحبه مكسوًا به ويكون ذا شان لما يلبس مثل هذه الملابس.

يدعو عليه النَّبي ﷺ لأنَّ هذا يعيش لأجلهن إن أعطي مراده من المال واللذات رضي عن الله وشعر أنَّ له قيمة، وإن مُنِع كان ساخطًا غاضبًا.

ونلحظ أنَّ النَّبي ﷺ كان يكرر الدُّعاء لأجل أن يُنفِّرنا من هذه الصفة، فيقول "تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ" يعني تعس وانقلب على رأسه، بمعنى الخيبة والخسران له، وإن أصابته شوكة فلا قدر على إخراجها بالمنقاش ولا خرجت، والمقصود أنَّ النَّبي

[1] رواه البخاري

ﷺ يدعو عليه أنَّه إذا أُصِيب بأقل أذى لا يجد معينًا للخلاص منه؛ لأنَّ هذا ليس عبدًا إلا لهواه.

وفي مقابل ذلك النَّبي ﷺ يقول: "طُوبَى" وهو اسم للجنَّة وقيل إنَّه اسم لشجرة فيها، قيل أنَّها أشهر وأطيب شجرة في الجنَّة، ثم هذا الذي يدعو له الرسول ﷺ بطوبى تجد صفاته تدل على تحديده لهدفه، فهمه للإنجاز، أشعث رأسه، متفرق الشعر، مغبرة قدماه بالتراب لأنَّه لا يبحث من يصوره ويصبح بسبب عمله هذا مشهور، هو يفكر في حيثيات هذا العمل الذي يعيشه، وباذلا كل ما يستطيع من أجل أن ينظر إليه ربه وهو راض عنه.

تجد أنَّ هذا الوصف يأتي بعده وصف مهم جدًا، وهو أنَّه يهمه أن يقوم بمسؤوليته ويسد ثغرته وأن ينظر إليه ربه وهو راض عنه. إن أقيم في متقدّم الجيش في الأمام، في الحراسة، في أمام الجيش لحراسته، تقدم ورضي، قام بما يجب عليه، ولا يقول أنتم وضعتموني في مكان من أجل أن أحميكم وأنتم لا تكونوا في المواجهة، ولا قال أريد أول الجيش ليكون لي الفخر والشرف والتقدمة عليكم، وإن أقيم في الساقة، يعني مؤخرة الجيش رضي وقام ولا يضره شيء من ذلك، وضعتموني في الأمام، الحمد لله أقوم بما يجب علي، وضعتموني في الخلف، الحمد لله، أقوم بما يجب علي، أو اليوم أنا في الأمام وغدًا في الخلف، المهم أن أقوم بما يجب علي، ويكون في هذا كله مبتغيًا الأجر من الله تعالى، بل يزيد النَّبي ﷺ في وصف هذا الرجل فيبين أنَّه خامل الذكر ليس طالب للشهرة بين النَّاس، قد يرتفع شأنه عند النَّاس، الله يقدر له ذلك، لكن هو بنفسه لا يسعى في نيل وجاهة بينهم، بدليل أنَّه إذا استأذن لم يؤذن له.

ليس ذاك المشهور الذي يميز ويدخل على الكبراء فيفتح له، وإن شفع في أحد لم تقبل شفاعته لأنَّه غير معروف بينهم، لكن هذا قدره عند الله كبير، وأجره عند الله محفوظ، وهذا هو الذي أنجز حقًا.

فلنحذر جميعًا من أن تكون المقاييس في الإنجازات مستوردة من عند عبدة الدّينار والدّرهم والخميلة والخميصة، فلنحذر جميعًا من أن تكون مقاييسنا إنَّما هي مقاييس

الدُّنيا، وإنَّما الحقيقة لا بد أن نفهم ما هو الإنجاز الحقيقي وما هي الأوهام التي تدخل على مفهوم الإنجازات، ولنؤكد أنَّنا بحاجة إلى الإنجاز. النَّبي ﷺ لما وصف هذا الرجل ما قال إنَّه كسلان، خامل عن العمل، ما قال إنَّه خال من عمل، إنما بيّن ﷺ أنّه خامل الذكر، لكن ليس خامل النشاط والعمل.

ما هي الثغرة؟ أن أكون في هذه الثغرة أسدها ما دمت أستطيع، ومن هنا إذا أردنا أن نصحح هذا المفهوم لا بد أن نؤكد أنَّه إذا اختلط علينا المفهوم سنكون في مشكلة كبيرة مع أنفسنا ومع أبنائنا في التربية ومن ثم مع مجتمعنا، فلا بد من الحرص على تصحيح هذا المفهوم ولا نستهين باختلاط هذا المفهوم في نفوسنا أو في نفوس أبنائنا الذين نربيهم، تصور لما يكون في نفسك، حتى لو لم تعبر عنه، أنَّ ابنك الناجح في أمور الدُّنيا خير من ابنك الناجح في أمور الآخرة، ومباشرة نقول يجمع بين أمور الدُّنيا والآخرة، يجب أن نتفق أنَّنا لا بد أن نكون متوازنين في نسبة الإنجاز إلى القدرات. لما نقول هذا الابن أنجز، لا بد أن نقول إنَّ الله قد وهبه القدرات، أعانه على القيام بالعمل ووفقه -سبحانه وتعالى-، وشرح صدره للقيام بهذا العمل، هذه طريقة أصلا لتفسير مفهوم الإنجاز، وفي نفس الوقت نؤكد أنَّ الإنجازات مرتبطة بالقدرات.

نعود لمسألة الاستعانة والإنجازات..

لمّا نقول هذا الابن غير منجز فعلينا أن نتقي الله في النَّظر، في مسائل الدِّراسة والتَّعلم هذا موهوب في الحفظ مثلًا، أو موهوب في أي موهبة تتصل بالتَّعلم، ومن ثمَّ التَّعلم عنده يسير، وهذا ليس موهوبًا في ذلك، فكيف يقارن بين من هو موهوب من الله، وبين من هو محروم من الله، لم يعط له هذا أكيد أعطاه أشياء أخرى، لكن الآن نحن نظلم أبنائنا، ونعترض على عطاء ربنا، وهذا نفسه يحصل معنا. أخواتي وهبوا مواهب خاصة بهم جعلتهم يسيرون في طريق معين، وأنا لم أوهب نفس الموهبة، فيدخل في نفسي عدم تقدير نعمة الله، وعدم الشعور برضا الله "إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ" وطول الوقت أقارن بين نفسي وبينهم وأبحث عن أسباب مادية تفسر تأخري عنهم، وربما أسخط على أقداري لأجل أني لست مثلهم، على تقدير أن ما فعلوه إنجاز ولا أنظر إلى

عطايا الله لي ولا أنظر إلى ما وهبني الله من خيرات، وهذا من صور كفران النعمة، وخصوصًا لما يبقى النَّاس يجعلون الأمور المادّية هي الإنجازات، وليس الحياة الطَّيبة النَّفس المطمئنة، صلاح البال، ومن أعجب ما نسمع في القرآن أوائل سورة محمد لما يخبرنا ربّ العالمين عن عطاياه للمؤمنين قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ}[1]ماذا أعطاهم ربّ العالمين؟ {كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}[2] هؤلاء هم المنجزين وهذا جزاء المنجزين {كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} فما بال المؤمنين تنقلب عليهم الأمور ولا يشعرون بنعم ربّ العالمين عليهم؟

كيف لما يعيش الإنَّسان حال من كفران النّعم، ويضعف شعوره بنعم الله العظيمة، ويقل إحساسه بما وهبه ربّ العالمين.

المقصود هنا أنَّ أمراض كثيرة يمكن أن تصيب الإنسان لما يُقدِّر الإنجاز بالمادّيات.

أمراض كثيرة تصيب قلب الإنَّسان لما يفقد التوازن فلا يزن المسألة كما ينبغي فيناسب بين القدرات والإنجازات.

هذه أول مشكلتين لا بد أن تحل في أذهاننا الإنجاز في الحياة ليس محصورًا ومقتصرًا على الإنجاز في الدّراسة أو العمل او إدخال دخل عالي.

هذه الأمور قد قدَّرها الله تقديرًا، وقد جعلها الله مكانًا لاختبار العباد.

وقد قال عزّ وجل مُعلِّمًا خلقه ماذا يجب أن يعتقدون، وهو ربّ العالمين قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا}[3]هذه أقدار اختبرتم بها، وهنا {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ} يقصد به: أي أمر يصيبكم؛ خيرًا كان أو شرًا، تحصلون عليه ويعجبكم، أو أمر لا يعجبكم، أي شيء يقدَّر عليكم، عموم المصائب التي تصيب الخلق من خير أو شر، كلها قد كتبت في اللوح المحفوظ وأنتم تختبرون بها، ستضيق عليكم أرزاقكم، أو توسَّع، يحصل غلاء في الأسعار، سترخص الأسعار، تتسع

[1] سورة محمد آية (٢)
[2] سورة محمد آية (٢)
[3] سورة الحديد (٢٢)

الدُّنيا، تضيق، يقبضها الله، يبسطها الله، هذه أمور لا يحيط بها العقل، بل هذا أمر يُذهل الفؤاد عنه لكنَّه على الله يسير، وهذا هو امتحاننا في الدُّنيا؛ أن نعلم أنَّ الأمور قدّرت وأنَّنا في سبيل تحصيلها نختبر ونحن سائرين لتحصيلها، ماذا نفعل؟ وماذا يكون في قلوبنا؟ على ماذا نعقد العزائم؟ ماذا يكون منّا كفرًا أو شكرا؟ هذا هو المهم.

لماذا أخبرنا الله عن القضاء والقدر؟

لغاية مهمة أخبرنا بها _عز وجل_ قال تعالى: {لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ}[1]وهذا أمر مريح للنفس، أخبرنا أنَّ كل شيء مُقدَّر، فلما يفوتنا شيء لا نأسى عليه، لا نحزن على ما فاتنا، طمحت نفوسنا وتشوفت إليه لكن ما أتانا فإذا صبرنا على ذلك نأخذ أجر ونعرف في نفس الوقت أنّه قضاء وقدر، سنقول معزين ومسلين أنفسنا، هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، وهذا لا بد من وقوعه ولا مجال لدفعه، وهذا بعد أن نكون قد أخذنا بالأسباب المتيسرة لنا، طمحت نفوسنا، لكنها ما أتتنا.

فنؤجر على أننا أردنا بهذا الشيء الإنفاق في سبيله، نؤجر على أننا أردنا أن نعف أنفسنا، نؤجر على النّيات الطَّيبة، حتى لو لم نحصل على النتائج المرغوبة، ولما يذهب عنا، وما يتوفر لنا أخبرنا الله _عزَّ وجل_ أنَّه قضاء وقدر لئلا نأسى.

لو أتى ما وافق هوانا لماذا يخبرنا الله أنَّه قضاء وقدر؟ قال _عز وجل_: {لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتاكم} ليس المقصود أن نحزن، المقصود لا نفرح بما آتانا الله فرح بطر وأشر وإحساس أني أنا المنجز، نعلم أنَّ هذا الشيء ما أدركناه بحولنا و لاقوتنا، إنما أدركناه بفضل الله، وأنّ الواجب علينا شكر الله لأنَّه اختبارنا أصلًا في شكره اختبارنا المهم في شكره _عزَّ وجل_، بل إنَّ عدونا، -نعوذ بالله منه-، قد تحدى ربَّ العالمين، وأقسم أن يقعد لنا الصّراط المستقيم، وأن يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وشمائلنا، كل هذا لأجل أي شيء؟ {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}[2]بل أكثرهم والعياذ بالله، كافرين، أكثرهم ناسبين النّعمة لأنفسهم ولإنجازاتهم، تغلّب عليهم الشيطان فأغفلهم، وكان جازمًا أنَّه سيبذل جهده في إغوائهم، وقد صدق عليهم ظنّه،

[1] سورة الحديد (٢٣)
[2] سورة الأعراف (١٧)

وهو لا يريد إلَّا هذا، يريد أن يمنعهم من أن يكونوا شاكرين ويحقق هذا الهدف بطرق مختلفة منها عدم إشعارهم بالنّعمة أصلا، لأنَّهم يحددون الإنجازات في أمور معينة، نعود على ذاك الابن الذي اتقى الله وصلى وصام لكن ما أُعطي قدرات في التَّعلم، فمن الكفر الشعور أنَّ هذا الابن ناقص، لا تدري أمّه لعله يكون هو الشفيع لوالديه في دخول الجنَّة، لعله يكون هو الولد الصالح الذي يدعو لوالديه فيبقى دعاءه وعمله جاريًا عليهم في قبورهم، لعله هو الذي يكون الحسنة التي ترفع درجاتهم.

نعود مرة أخرى ونقول أنَّ الإنَّسان المؤمن يكون شاعرًا بنعم الله، ناسبًا النّعم لله، يرى **الإنجاز هو قيامه بوظيفته التي أمره الله بها في الثغرة التي وضعه الله عليها**، فإن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن كان مطلوب منها رعاية أهل بيتها فرعاية أهل بيتها، إن كان مطلوب منها لأسباب جعلها الله في طريقها ويسرها لها لتكون مسؤولة عن أهل بيتها، أهل حيها، عن أهل مدينتها في إصلاح أحوال أبنائهم، في تدريسهم، في تعليمهم، في تعليم النِّساء، في إرشادهم، فهي حيث وضعها الله، راضية بما قسم لها الله، ترى أنَّ لا حول لها ولا قوة إلا بالله.

مثل هذه الأمور يشعر بها الإنَّسان أنَّها تختلط عليه، مقياس هذه الأمور وضبطها يختلط على الإنَّسان خصوصًا لما يجد هؤلاء يتفاخرون بوظائفهم ودرجاتهم العلمية، بشهرتهم بالفسق والفجور، يا ربّ العالمين ارحم ضعفنا.

فنجد أنَّ اختلاط مفهوم الإنجاز يسبب للكثير الشعور أنَّ لا قيمة له، إذا لم يفعل مثل هؤلاء ولبس مثلما يلبسون وأكل مثلما يأكلون وجرى مثلما يجرون فإنه لا قيمة له. من هنا تجد أنَّ أُناس تأتيهم أحوال من الاكتئاب وأحوال من عدم الرضا عن عطية الله وعدم الانتفاع بما وهب الله، وهذا من إزعاج الشيطان لأهل الإيمان، فالواجب علينا أن نكون مقدّرين نعمة الله، شاعرين أنَّ الإنجاز الحقيقي هو أن نقوم بالوظيفة الحقيقية، وسنضرب مثال هنا وإن شاء الله نستفتح بهذا المثال لقاءنا غدا.

من أعظم الإنجازات التي يقوم بها الإنسان في يومه وليلته **أن يذكر ربّ العالمين**، راجع أجر من قال "لا إلهَ إلاَّ اللَّه وحْدهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ

قَدِيرٌ" راجع كم له من أجور؟ كم ترفع له الدرجات؟، من قالها مئة مرة في اليوم، وهذا معروف في أذكار الصَّباح والمساء، ماذا يكون حاله، وكيف يُمحى من ذنوبه، وتُرفع درجاته، تُمحى سياته وتكتب له مئة حسنة وتمحى عنه مئة سيئة وفي رواية أنَّ هذا "كانَ لَهُ عدلُ عشرِ رقابٍ، وَكُتِبَت لَهُ مائةُ حَسنةٍ، ومُحِيَ عنهُ مائةُ سيِّئةٍ، وَكُنَّ لَهُ حِرزًا منَ الشَّيطانِ، سائرَ يومِهِ إلى اللَّيلِ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضَلَ ممَّا أتى بِهِ، إلَّا من قالَ أَكْثرَ"، _سبحان الله وبحمده_، ما أعظم هذا الإنجاز، لكن تجد النَّاس مشغولين عن الموازين التي ستقام يوم القيامة. ومشغولين بوزنها اليوم كم يكون، ربّ العالمين يقول لنا في أول سورة الأعراف قال الله تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ}[1] فترى يدخل عليها السرور والسَّعادة لأنها خسرت من وزنها كذا وكذا والوزن يومئذ الحق فما الميزان لهذا الإنجاز!

نعود لأول الكلام "تعِس عبدُ الدّينارِ، تعِس عبدُ الدّرهمِ، تعس عبدُ الخميصةِ، تعس عبدُ الخميلةِ" والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نلتقي غدا لنزيد بيان في هذا الموضوع، "سبحانكَ اللهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إلهَ إلا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ".

[1] سورة الأعراف (٨-٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّقاء الثاني- يوم الاثنين ٧ ذي القعدة ١٤٤٣هـ

الحمد لله ربّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. نبدأ بإذن الله في لقائنا الثاني حول هذا الموضوع المهم؛ موضوع الإنجاز،

وهذه الكلمة التي تتردد كثيرًا بين أوساط النَّاس؛ الشباب والصغار والكبار، وكل يتمنى أن تكون له إنجازات عظيمة يشار إليها ويشعر بالطمأنينة كونه أنجزها.

وفي هذا المفهوم كما مرَّ معنا أمس، كثير من الأمور المتداخلة.

وهذا المفهوم بين حق وباطل، وبين أمر رشيد يوصل الإنسان إلى الطمأنينة والراحة، وبين سفاهة تجعل الإنجاز سقوط في التَّردي، سقوط في الهاوية والتَّردي في خبائث الأمور.

فكان من الواجب أن نذكّر أنفسنا دائما بالحق لندفع الباطل، ولتبقى هذه المفاهيم صحيحة، ولكي يكون تداولها على مقياس صائب.

ولنبدأ بتذكير أنفسنا بهذا الحديث العظيم الذي بيّن فيه رسولنا الكريم **حاجتنا الحقيقية إلى الإنجاز**، وأن هذا مما تحث عليه الشريعة، فقال ﷺ: "اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ: شبابَك قبل هَرَمِك، وصِحَّتَك قبل سَقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شُغلِك، وحياتَك قبل موتِك."[١] **نغتنم خمس أمور قبل أن نتعرض لخمسة أمور**، وتبيّن لنا، الحمد لله، أنَّ هذه الأمور التي أشار إليها النَّبي ﷺ، هي الأمور التي يحصل من خلالها الإنجاز.

فلو نظرنا إلى أمر النَّبي ﷺ أن نغتنم شبابنا قبل أن يقع لنا الهرم، فهذا توجيه منه ﷺ أن نغتنم مرحلة النضارة والقوة والحيوية.

١

لكن نغتنمها في ماذا؟ وما هو الشيء الذي يعتبر إنجاز؟

نغتنمها في الطاعة والعبادة وأعمال الخير، قبل أن يتغير الحال فيكبر الإنَّسان ويضعف عن الطاعة ويقل عطاءه، أو حتى يعجز عن العمل.

ومثل هذا أيضًا أتى واضحًا في قوله ﷺ: "وصِحَّتَك قبل سَقَمِك" فصحة المرء وما يجده الإنسان من قوة ونشاط وعافية في حواسه وفي قواه، هذه فرصة للعمل لأن الحال لا يدوم، كم من صحة أتى بعدها ضعف ووهن ومرض، وكثير من النَّاس يغتر بصحته وعافيته فتذهب عليه سدى دون اغتنام، أو يغتنمها في الجري وراء الدُّنيا حتى تفسد هذه الصحة وتذهب، وربما ضاعت في الآثام، وربما ضاعت هذه الصحة في الأمور التي لا قيمة لها، ثم يتبع ذلك الندم، لكن بعد فوات الأوان.

واغتنم "غناك قبل فقرِك" فابذل المعروف وأنفق مما تيسر لك، فما تجده اليوم من سعة من المال، ووفرة في الرزق، فهذا أيضا من الأمور التي لا تدوم، فلا تحول هذا الأمر إلى مكان لظهور البخل، وإنما الإنجاز أنه وقت ما يكون عندك ما تستطيع أن تمول به غيرك ولا يكون ذلك ضرر عليك فافعل وأنت تراه إنجاز. ابذل في أبواب الخير ولا تفتتن بالمال فإنه زخرف زائل ومتاع قليل، والإنجاز أن تستطيع أن تتخطى ما ابتلي به الإنسان من الشُّح، وما يحصل في النفس من الخوف على المال، الإنجاز أن تكون هذه العطايا مستفاد منها في الرفعة عند الله.

وانظر كيف يُنبّهنا النبي ﷺ فيقول لنا: "وحياتَك قبل موتِك" فهذه عبرة وعظة، حياة المرء في هذه الحياة ليست دائمة، وكل عاقل يعرف أنَّ الحياة يعقبها الموت، فلتستكثر ولتعتبر أنَّه إنجاز ما يكون نافعًا لك بعد الموت، وليكن إنتاجك وإنجازك مستمرًا في الحياة لأجل ما بعد الحياة وليس لأجل الحياة، لأنَّك لو فكرت فيما بعد الحياة ستجد أثره في نفس الحياة.

وقد كان من قول أبو بكر رضي الله عنه لخالد ابن الوليد رضي الله عنه (اطلب الموت توهب لك الحياة) هذه هي الإنجازات، وقد كان نبينا ﷺ خير مرشد لهذا الأمر "إِنْ قَامَتِ

السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ" **لأنَّ الإنجاز ليس ما تراه اليوم أنت، إنَّما ما تفعله اليوم لتجده غدًا.**

وانظر إلى نبيّنا ﷺ النموذج الأكمل، النموذج في كل شأن من شؤون البشرية، فإذا ذكر الاجتهاد واستفراغ الوسع في البذل والعطاء سيكون هو القدوة للأنام، والإمام للأعلام وسيد الصفوة الكرام ﷺ، الذي بلغ الذروة في تحقيق المطالب العلية، والمقاصد السنية، فكان أعبد النَّاس وأخشاهم لله، حتى إنَّ قدميه الشريفتين تفطرتا من طول القيام، فكان هذا العمل للحياة القادمة.

كان في جانب تعليم النَّاس وإرشادهم أعظم منجز بنصرة دين الله ونفع الأمَّة ونصحها ودلالة النَّاس على الحق، كان في باب الإحسان إلى النَّاس، وبذل المعروف والسَّعي في قضاء حوائجهم، أعظم نموذج لإرادة الخير ولفعله. فكانت هذه هي الإنجازات؛ أن تفعل اليوم فيما تستطيع، فيما مكَّنك الله لغدك القريب.

وقد جعل الله عزَّ وجل هذا الأمْر حقًا على كل من سمع الخطاب، جعله حق عليه أن يستجيب لربّ العالمين قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}[1].

فكر ما هي إنجازاتك التي قدمتها لغد {وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[2]وتنبّه أيُّها الإنسان المؤمن، يا من تسمع هذا الخطاب، اسمع رب العالمين يقول لنا: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ}[3]نسوا أنفسهم في معترك الحياة، واختلط عليهم مفهوم الإنجاز، وأصبحوا يقوموا بالأعمال، وربما حتى الأعمال الصالحة، يقوموا بها لأجل دنياهم وليس أخراهم، ما نظرت النفوس ما قدمت لغد، الإنجاز الحقيقي أن تعلم اليوم، وأن تغتنم الخمس قبل الخمس، لكن لأي شيء تغتنمها؟ تغتنمها ليكون غدًا لديك رصيد، وهل تظن أنه يستوي أصحاب والنَّار وأصحاب الجنَّة؟ {لَا يَسْتَوِي

[1] سورة الحشر آية: (١٨).
[2] سورة الحشر آية: (١٨).
[3] سورة الحشر آية: (١٩).

أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}[1] لذا حق على من سمع هذا الخطاب من ربّ العالمين أن يتقي الله، ويطلب لنفسه النَّجاة بالإنجاز في كل باب يفتح له، وفي كل طريق يتوفر له، ويجتهد في العمل، ويتقن الأداء ويساهم في ميادين العطاء من أجل الله.

وهذا ما كان عليه الأخيار الأتقياء الذين صاروا أئمة يقتدى بهم في الخير، صاروا بعد رسولنا ﷺ نماذج للاقتداء، نماذج للإنجاز والعطاء. تركوا آثارًا حسنة بعد مماتهم، وجعل الله لهم في النَّاس ذكرًا جميلًا، وثناء حسنا باقيا إلى آخر الدهر.

وتفكروا في حال الأصحاب الكرام؛ أمثلة مشَّرفة للإنجازات، وتفكروا في الصحابي الجليل **سعد بن معاذ** رضي الله عنه الذي لم يعش بعد إسلامه سوى نحو من ست سنين، إلا أنَّه قدّم، وأنجز ما قد يعجز عن مثله من عاش في الإسلام عمرًا طويلًا، حتى نال بذلك الفضل الكبير والشرف العظيم، وقد ورد، كما ذكر الذَّهبي -رحمه الله-، قد تواتر قول النبي ﷺ: "إن العرش اهتزَّ لموت سعد فرحاً به" سبحان الله.

هذه هي الإنجازات التي يبذل الإنسان قصارى جهده ليصل إليها.

كيف أثنى النَّبي ﷺ على صاحبه رضي الله عنه، أثنى عليه ثناءًا عطرًا، بل أثنى عليه الله -عزَّ وجل- فكان الصاحب رضي الله عنه المبارك، الذي امتلأ إيمان وأخذ من كل باب من أبواب العمل نصيب، فقد قال النَّبي ﷺ سائلا أصحابه "مَن أصْبَحَ مِنْكُمُ اليومَ صائِمًا؟" قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: "فمَن تَبِعَ مِنْكُمُ اليومَ جِنازَةً؟" قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: "فمَن أطْعَمَ مِنكُمُ اليومَ مِسْكِينًا؟" قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: "فمَن عادَ مِنْكُمُ اليومَ مَرِيضًا؟" قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: "ما اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ". هذا هو الإنجاز؛ الإنجاز أن تفكر في الغد، الإنجاز أن تكون نافعًا للنَّاس لأجل الله، وليس لأجل أن يشيدوا بك، وليس لأجل أن ترتفع منزلة عندهم، أو تكون ذا شأن بينهم.

[1] سورة الحشر آية: (٢٠).

وهذا **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه أعلم الصحابة، وأفضلهم وأكملهم إيمانًا، كان سبّاقا لفعل الخيرات، مسارعًا إليها، مبادرًا إلى هذه الإنجازات، فهو قدوة تؤتسى في الجد والسبق والمثابرة، عرف فيمَ ينفق حياته.

الإنجاز والإنتاج والنَّجاح هدف يسعى إليه المرء، وصِفة يتحلى بها المُجدّ المحافظ على ما وهبه الله من قوى، لكن يعرف هذا الإنسان ما هو معيار النَّجاح والإنجاز والإنتاج؛ ما يعود عليه بالخير في دينه ودنياه خالصًا لله ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فتجده يستثمر جهده وقوته وعمره وماله، وكل ما وفر له لأجل الغد الذي سيلقى فيه الله.

وهذه النماذج لا زالت تتوالى علينا..

ومن تلك النماذج، ومن أولئك الأعلام العِظام **عطاء بن رباح** -رحمه الله-، كان سيّد التابعين، وعالم الدُّنيا في زمانه. ولما يوصف عطاء تفهم لماذا يعتبر نموذج في الإنجاز، وكيف أن الإنسان يفكر فيما أعطاه الله، وينتفع بما أعطاه الله، والدُّنيا بلغة منغصة، ما يجعل أي شيء مما نقص عليه يعيقه عن هذا النوع من الإنجاز الحقيقي.

قال بعض أهل العلم كان عطاء أسود، أعور، أفطس، أعرج، ثمَّ عمِي بعد ذلك. ومما ذكر في فضائله أنَّه حج سبعين حجة، وكان في هذا الحج هو الذي يفتي الخلق، ويعلّمهم العلم، وبعدما كبر وضعف كان يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم، ما يزول منه شيء ولا يتحرك.

فمهما حصل للإنسان من نقص أو من بلاءات، من نقص في بدنه أو نقص في ماله، يبقى ثابتًا متجلدًا قويًا، لا ييأس ولا يضعف، ولا يمتنع عن النَّفع والعطاء، ويعتبر أنَّ هذا هو حقًا الإنجاز.

من أمثلة أولئك الأفذاذ حمّاد بن سلمة، الإمام القدوة، مما ذُكِر في مناقبه أنّه يقال عنه لو قيل له إنَّك تموت غدًا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا، يعني أنّه قد بلغ من اجتهاده في اغتنام أوقاته واغتنام ما وهبه الله مبلغًا عظيمًا، حتى أنه لا يزيد من العمل أكثر مما هو مشتغل فيه من الطاعات والقربات والتَّعلم والتَّعليم، فكانت الإنجازات لغد. فلله دره، ما أعظم زاده وإنتاجه وعطاءه، وما أشد خسارة من جعل إنجازاته تافه

الأمور، وسخيف الآراء، وقاذورات الأعمال، ما أشد خسارة من أضاع ما وهبه الله في تقليب الصفحات التي لا تنفع، بل هي في موازين السيئات، استهان بوقته وقلبه وخرج من الدُّنيا لا أثر له، وربما أتى يوم القيامة مفلسًا، ثم تزداد المصيبة مصيبة لما يرى الأمور التافهة التي يقوم بها إنجاز، والله المستعان.

اسمع عن سيرة **عبد الله بن المبارك** -رحمه الله-، هذا رجل جاء في مناقبه أنَّه جمع العلم والفقه والأدب واللغة والشعر والنحو والفصاحة والزهد والورع والحياء وحسن الخلق وحسن الصحبة والشجاعة والقوة والسخاء، وقيام الليل والخشية، والإنصاف وترك الكلام فيما لا يعنيه، قال بعض العلماء لا نعلم في عصر ابن المبارك أجلّ من ابن المبارك ولا أعلى منه، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه، فكان عَلَم على رأسه نار، بقي كلامه الذي حكاه لأصحابه ووعظ بعضهم به، وبقي شيء من فتواه، وشيء من علومه، تتناقله الأجيال ويقولون قال عبد الله بن المبارك.

ما أجدر أن ينظر كل منّا في نفسه، ما الذي اكتسبناه من مثل هذه الخصال الفاضلة والصفات الحميدة التي يحبها الله، هذا هو المهم، والتي تجعل للإنسان صيت في السماء، هذا هو المهم، لأنَّه كما ورد في الآثار "ما مِن عبدٍ إلَّا له صِيتٌ في السَّماءِ فإذا كان صِيتُه في السَّماءِ حَسَنًا وُضِع في الأرضِ وإذا كان صِيتُه في السَّماءِ سيِّئًا وُضِع في الأرضِ".

ما الذي اكتسبناه من مثل هذه الصفات؟ والنساء لهم ما لهم في باب الفضائل، بل الحقيقة أنَّ النساء هم معدن الفضائل، ينقلونها لمن تحت أيديهم ولمن يربون ولمن يخالطون.

من أمثلة النساء الرائدات المنجزات اللاتي شاركن في مضمار المسابقة لمراتب النجاح والسؤدد زوجة هارون الرشيد؛ **زبيدة بنت جعفر المنصور**-رحمها الله-، كان لها مناقب جمّة، استفادت مما مُكِّنت منه، كانت امرأة فاضلة، عرفت أنها ذات رأي ودين وفصاحة وبلاغة، واشتهر عنها محبتها للخير، والإفضال على أهل العلم، والعطف على الفقراء والمساكين. وكانت سخية تبذل نفيس ما معها في سبيل الله، ولا أدل على هذا من إنشائها، في ذاك الزمان، عين الماء العذبة الشهيرة بعين زبيدة، عين زبيدة هذه إلى اليوم،

بعد ما أتت مصارف الماء للحجاج، الحمد لله من نعماء الله العظيمة علينا وعلى الحجاج، نسأل الله -عزَّ وجل- أن يجعلنا من الشاكرين، وما سخر لنا الحمد لله اليوم للحجاج من توفير كل الأسباب، لكن إلى اليوم العين الموجودة في مدينة جدة تسمى عين زبيدة، ولها طريق معروف، انظر هذه زوجة هارون الرشيد، الذي في التاريخ يحاولون تشويه سمعته وجعله من أهل اللهو، وهو الرجل الذي كان يغزو عامًا ويحج عامًا، هذه المرأة أنجزت إنجاز-رحمها الله-، هذا الإنجاز وفقت إليه؛ أن تمد للحجاج في طريقهم ماء وتجعله ميسر لهم، وانتفعت بما ملكت من قدرات، وهذا هو الذي يجب أن نكون عليه.

ومن لطيف ما يُروى، تصوّر كيف أثر الإنسان؟ من الأخبار، أنَّ عجوزًا بكت على ميت فقيل لها بماذا استحق منك، لماذا هذا الحزن عليه؟ وهو جارهم، قالت "جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة"، بمعنى أنهم كانوا فقراء أهل صدقة "ومات وما فينا إلا من تجب عليه الزكاة"، ماذا فعل هذا الرجل من إحسان؟ هذا الرجل المحسن استفاد مما أعطاه الله فأهَّل هؤلاء الذين جاورهم، علّمهم كيف يستغنون عن سؤال الناس، نفعهم في دنياهم، لكن هذا النفع ما دام حفظ له ورفعه الله به، فإنما أراد به أن يلقى ربه، أراده لغد الذي لم ينسه، فأثمرت رعايته لهم، بعد توفيق الله أن أصبحوا ميسورين منتجين بعد أن كانوا فقراء محتاجين، فأصبحوا هم مزكين، ينفقون المال ويعطونه للخلق، فما أطيب هذا.

الإنجاز الحقيقي هو أن تعمل هنا فيما مكنك الله أن تعمل اليوم فيما مكنك الله لغد تلقى فيه الله، من أنجز بهذه الصورة فإنه لم ينس نفسه، أما من انخرط في الدُّنيا للدُّنيا، وعمل لأجل العلو عند أهلها وطمع في أن يستزيد من هذه الدُّنيا للدُّنيا، فإنه قد نسي نفسه، من نسي الله في سيره أنساه الله نفسه، كل يوم نحاول أن نذكر أنفسنا بسِيَر وحياة المنتجين المنجزين حقا الذين تأصَّل فعل الخير نفوسهم وسمت إلى الفضائل هممهم فكان لهم القدح المعلا من السَّعادة والنَّجاح والفلاح. ألم نسمع ربّ العالمين يقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[1] فربّ العالمين يحب منّا أن نكون مبادرين منتجين مجتهدين، ننجز الإنجاز الحقيقي،

[1] سورةالحج آية (٧٧).

نكون ممن أراد الغد عند ربّ العالمين، ونترك أثرًا كبيرًا وراءنا، والأبواب كثيرة وكل منّا يفكر فيما تيسّر له ويدخل الباب المتيسر له، وهو مستعين بالله متوكل على الله مريد الله، يذكر دائمًا لقاء الله.

فإن كان الباب القريب أن يُعلّم النَّاس وأن يهتدي النَّاس على يده فالحمد لله، وإن كان الباب القريب أن يسلم على يده قوم ليسوا بمسلمين، فالحمد لله، وإن كان الباب القريب أن يبني مساجد أو يبني دورا للعلم ويهيء الأموال لطلبة العلم، فالحمد لله، إن كان الباب القريب أن يُعلّم النَّاس ويخرج على يده أجيال من حفظة الكتاب، فالحمد لله، ومن أنشأ دور الرعاية أو دور لعلاج المرضى، من أنشأ أوقافًا ومن خصص أموالا للمنافع، من خدم بنفسه أصحاب الحاجات، من كان يسير عليه أن يصلح بين النَّاس ويفض النزاعات، والشقاق بين المتخاصمين، من كان يسير عليه أن يحل المشكلات والقضايا، من فتح له إغاثة اللهفان أو نفع الأمة باختراع أو ابتكار يعينهم على قضاء حوائجهم، فهؤلاء إن أرادوا الله وسعوا بهذه الأعمال أن يكون لهم الأجور عند ربّ العالمين، راغبين في الثواب فليعلموا أنَّهم كما قال ربّ العالمين {وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ}[1] فمهما فعلوا من خير سيجدون ثوابه عند الله وافرًا موفورًا.

المراد من هذا النّقاش أن نبقى متذكرين أنَّ الإنجاز الحقيقي هو أن نستفيد مما أعطانا الله من قدرات ونوجهها للخير، نستثمرها في نفع الغير فلا نستهين بها ولا نحتقرها ولا يثبطنا الشيطان، نكون طموحين، نسعى إلى نفع أنفسنا ونفع الآخرين، وفي كل هذا نكون مستعينين بالله، في كل هذا نكون نريد أن نعمل اليوم لغد ولا نريد أن ننسى أنفسنا فنغرق في التفاهة، وتكون التفاهة هي مقياس الإنجاز، فيشعر الإنسان أنَّ التفاهة إنجاز.

يجب أن نعلم أنَّ الاستسلام للمألوف من العادات السيئة ومما اشتهر بين النَّاس، هذا كله يجعل الإنسان يتراجع ويخسر وتسوء حاله، وتشين أفعاله، وأيضا لا ينفع أن نعيش على مجرد الأفكار والأماني التي لا تجدي ولا تغني شيئًا، إنّما كما قال لنا رسول الله ﷺ

[1] سورة المزمل آية: (٢٠).

"احرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واستَعِنْ بالله ولا تَعْجَزَ" أتريد أن تسابق لتصل إلى رضا ربّ العالمين؟ هذا إنجاز عظيم، انظر ماذا أعطاك الله وانتفع به في سبيل الله، وتذكر إنجازات صاحب رسول الله ﷺ، من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ من تبع منكم اليوم جنازة؟ من أطعم اليوم منكم مسكين؟ من عاد منك اليوم مريض؟ هذه إنجازات لا تستهن بها، وما دام أنَّك ذاكر لله، ما دام أنَّك تفكر في لقاء الله، فليكن منك الاستعانة بالله على أن يكون لك إنجاز يرفعك عند الله، هذا ما يشغلك؛ أن ترتفع عند الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّقاء الثالث- الثلاثاء ٨ ذي القعدة ١٤٤٣هـ

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنِّه وكرمه أن يجعلنا من أهل طاعته وعبوديته؛ فإنَّ هذا هو الإنجاز الحقّ؛ القيام بالوظيفة التي أمرنا بها ربِّ العالمين، هذا هو الإنجاز الحق.

نماذج من إنجازات الصحب الكرام:

منهم **صاحب الغار** الذي قال له صاحبه: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}[١]أبو بكر يقوم بكل وظيفة يُمكن أن يقوم بها مسلم من غير تردد ومن غير تضييع للفرص، والنَّبي ﷺ يسأل **الصحابة**: "مَن أصْبَحَ مِنْكُمُ اليومَ صائِمًا؟" -وهذه فرص للعبادة- قالَ أبو بَكْرٍ رضي الله عنه: (أنا)، ثم جاءته فرصة أخرى فيسأل النَّبي ﷺ قالَ: "فمَن تَبِعَ مِنْكُمُ اليومَ جِنازَةً؟"، قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: فمَن أطْعَمَ مِنكُمُ اليومَ مِسْكِينًا قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: فمَن عادَ مِنْكُمُ اليومَ مَرِيضًا قالَ أبو بَكْرٍ: أنا"[٢]

هكذا يكون الإنجاز اغتنام فرص القربى والطاعة لربّ العالمين، فيفهم الإنسان حقيقة الإنجاز وهي القيام بالوظائف التي يفتح الله عزّ وجل للعبد أبوابها.

ويمكن أن يكون هذا الإنجاز الذي يفعله الإنسان قيامًا بالدور، يجد عنده فرصة وظيفة فيقوم بها مباشرة، سمع عن مريض وهو يعرف أجور زيارة المريض بادر لذلك، سمع عن محتاج وهو متمكن من العطاء ولو بالقليل فعل ذلك، وهكذا حتى يصبح يومه مليء بالإنجازات الحقيقية.

الإنجازات الحقيقية هي: القيام بوظائف العبودية، سواء كانت هذه الوظائف لازمة أو متعديّة،

---

[١] سورة التوبة آية (٤٠).

[٢] صحيح مسلم.

إذا كانت لازمة فهذا خير عظيم؛ لأنَّ الإنسان يُنجز بتزكية نفسه، وإن كانت متعدية فهذا أيضًا خير عظيم، ينفع المسلمين ويُسهّل عليهم أمورهم ويعينهم على القيام بما يجب عليهم، فيكون عند هذا الإنسان معرفة حقيقية بمعنى الإنجاز.

الإنجاز القيام بوظيفة العبودية كلما تيسر ذلك، وعدم الكسل أو التواني عن هذا.

من الإنجازات التي هي غاية في الأهمية، ولا تُهمل، بل يجب علينا أن نذّكر أنفسنا بها وهو الإنجاز الذي حصل مع صاحب الغار، كانوا في أزمة، النبي ﷺ المصطفى من ربّه الذي يوحى إليه يطارده العدو! يا لها من أزمة عظيمة في الصراع بين الحق والباطل، ولا بد من أزمات في حياة الإنسان وخاصة الأزمات التي تتصل بإظهار الحق وإبطال الباطل، يُطارد النبي ﷺ ويأوي هو وصاحبه إلى الغار، أزمة عظيمة، يقول أبو بكر للنبي ﷺ: "لو أنَّ أحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا"[1]، وصلت هذه الأزمة إلى الحلقوم، لكن أرشد النبي ﷺ صاحبَه إلى المخرج من هذه الأزمة، ونهاه عمّا يجعله يفشل في تجاوز هذه الأزمة فقال له: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}[2]، ياله من شأن عظيم!

شأن عظيم أن يكون ربّ العالمين مع هذا الإنسان الضعيف المسكين، شأن عظيم أن يكون ربّ العالمين معك أيُّها الصَّابر الذَّاكر، نهاه النبي ﷺ عما يريده الشيطان من إحزان الذين آمنوا، عمّا يريده الشيطان من تضعيف قواهم وتقليل قدراتهم، {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، فلما اطمأنت نفس الصاحب إلى ما قال له الصاحب فكان الإنجاز في تجاوز الأزمة، وكان الإنجاز في الثقة بوعد الله، الإنجاز كان في اليقين بقربه عزّ وجل وحفظه رغم وجود كل الأسباب المادية التي يمكن أن تكون خلاف هذا الأمر الذي يكون في يقين العبد المؤمن، كل الأسباب المادية المحيطة تقول سيكتشفون مكانهم وسيأخذوهم، لكن النَّبي ﷺ يُطمئن صاحبه وينهاه عن الحزن ويكون في تلك الساعة إنجاز أبي بكر -رضي الله عنه- أنَّه تجاوز الأزمة.

فكم من أزمات، وكم من ضيق، وكم من آلام في الأبدان وفي الأنفس تمّر على الإنسان، **فيكون الإنجاز** أن يثق الإنسان بوعد الله فيطمئن لله، ويعرف أن نهاية هذه الآلام

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

[2] سورة التوبة آية (٤٠).

خيرات عظيمة من ربّ العالمين، نهاية هذه الشؤون الصعبة خير وبركة وعد الله -عزَّ وجل- بها الخلق، وعد الله بها أهل الإيمان، وعد الله بها المتجاوزين للأحزان.

فلا بد أن نتصور أن من الإنجاز الذي ينجزه الإنسان أن لا ينهار أمام الأزمات بل يقاوم هذه الأزمات باليقين بالله والثقة به والتوكل عليه، يقاوم الأزمات بإنجاز عظيم ينجزه في داخل نفسه، فيكون مديرًا لأفكاره ومشاعره فلا يجعل الشيطان يغلبه، أنجز بطرد وساوس الشيطان.

إنجاز عظيم أن تُعادي من أمرك الله بمعاداته، {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}[1]، أنجز باتخاذ العدو عدوّا، وبكثرة الاستعاذة منه، وبطرده طردًا متكررًا حتى لا يثبطك عن الإنجازات، حتى لا يشغلك عن وظائف كالتي قد يُسِّر عليك القيام بها، لا يُثقّلك ويُكسلك، لا يُحبطك وأنت مقبل على الخير فيثبط عزائمك، هذا إنجاز أن تبقى تُرشد للحق رغم إنَّه الظاهر أنَّه لا أحد يسمع، خصوصًا مع أبنائنا ومع أحبتنا، كم يكون للشيطان دور في إزعاجنا، وفي إحباطنا وفي شغلنا عن إرشادهم وعن نصحهم وعن تكرار الحق لهم وتكرار الحق عليهم.

كم هو مزعج هذا العدو، وكم هو إنجاز أن تتخطى إحباطاته، وتكون مديرًا ناجحًا لمشاعرك ولأفكارك وأنت في هذا كله مستعين بالله، وأنت في هذا كله تريد رضا الله، وأنت في هذا كله تفكر في غدٍ الذي أمرك الله أن تستعد له، إذن الإنجاز الحقيقي هو أن تعمل اليوم لتجد غدًا عند الله، والإنجاز الحقيقي هو أن تقوم بوظيفة العبودية في كل فرصة تستطيعها مستعينًا بالله.

الإنجاز الحقيقي أن تتجاوز الأزمات بحسن الظن بالله، أن تكون منجزًا في تزكية نفسك ومدافعة عدوك وضبط أفكارك ومشاعرك، والمحافظة على سيرك على صراطك المستقيم.

تكون منجزًا إذا بذلت جهدك للثبات على الصراط المستقيم وأنت ترى الناس يتساقطون عن الصراط المستقيم.

---

[1] سورة فاطر آية: (٦).

تكون منجزًا لمّا تبقى قيمك العليا هي قيمك العليا ما تتغير أبدًا، تبقين أنتِ المرأة العفيفة الحيية، ما يتغير هذا بتغير معايير ومقاييس الخلق.

يبقى الإنسان منجزًا طالما أنَّه حريص على أن يكون على الصراط المستقيم، حريص على ألاَّ يُكبُّ على وجهه.

يبقى الإنسان منجزًا طالما أنَّه إذا أخطأ عاد.

ولنتأمل سويةً ما أخبر الله عز وجل به عن إمام الموحدين النموذج للموحدين في الثبات على الصراط المستقيم، **إبراهيم عليه السَّلام** انظروا إلى عظيم إنجازه، {فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}[1]، يفكّر ويفكّر ليُظهر الحق، وليجعل قومه يعودون إلى الصراط المستقيم وإلى التفكير السليم، ويجعل أدلة الحق وبراهينه كالشمس الساطعة فينجز إنجازًا عظيمًا في بيان الحق حتى لو لم يتبعه الخلق.

كسَّر الأصنام، يا لها من شجاعة تلك الشجاعة التي أنجز بها هذا العمل {فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ}[2]، {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ}[3]، حاورهم وناقشهم وبيّن لهم، وتبين لهم أنهم على باطل ومع ذلك عادوا فانتكسوا ومالوا عن الصراط المستقيم، ولم يقبلوا هذا الحق المبين. هم كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم نكسوا على رؤوسهم، لأنهم هم في البداية {فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ}[4]؛ قد اتضح الحق لهم، أنجز إنجازًا عظيمًا ووضح الحق، هم الذين عادوا وارتدوا وهو قد بقي يحاورهم ويقول لهم: {أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ}[5]؛ لاحظوا أنَّ هذا الإنجاز أتى من فتىً، حتى أنهم يستحقرونه {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}[6]هذا الفتى أنجز هذا الإنجاز العظيم.

---

[1] سورةالأنبياء آية: (٦٠).

[2] سورة الصافات آية: (٩١).

[3] سورة الصافات آية: (٩٣).

[4] سورة الأنبياء آية : (٦٤).

[5] سورة الأنبياء آية : (٦٦).

[6] سورة الأنبياء آية : (٦٠).

ثم جاء منهم ما يأتي من مثل هؤلاء الذين ينتصرون لأهوائهم يريدون أن يحرّقوه بل هم يريدون أن ينتصروا لأهوائهم، أسماء سموها وتعصبوا لها ثم ظنُّوا بعد ذلك أنَّهم يستطيعون بعد ذلك أن يكذبوا على الخلق.

-على كل حال- كانت هذه الأزمة التي كان فيها إبراهيم عليه السَّلام غاية في السُّكون ونموذجًا في التوكل على الله، وكانت كلمته المشهورة لمّا أتاه جبريل يقول:" ألك حاجة؟" فقال:"أمَّا إليك فلا، وأمَّا إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل"، فكان هذا الهدوء، والثقة بربّ العالمين واليقين به إنجاز عظيم، وظهر أثره في أن جعل الله النَّار بردًا وسلامًا، وردَّ كيدهم لأنهم أرادوا به كيدًا فجعلهم الله هم الأخسرين، ثم يذوق من برد هذا الإنجاز ما يذوق إبراهيم عليه السلام، يذيقه الله عز وجل بأن يزيده في باب الإنجازات فيقوم بوظيفته {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ}[1]، نعم هذه هي الإنجازات العظيمة التي يوصف بها الإنسان، أئمة يهدون بأمرنا في كل باب، هؤلاء ينجزون بأن يكونوا على ما أمر ربّ العالمين.

ثم يُصاب إبراهيم عليه السَّلام بأزمة جديدة ويكون في هذه الأزمة ممن ينجز إنجازًا عظيمًا فيقوم بالعبودية بالوظيفة التي أمر بها، ترك قومه {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ}[2]، وسأل ربَّه أن يهبه من الصالحين {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}[3]، يا لها من نعمة عظيمة الواجب فيها شكر ربّ العالمين.

ثم يأتي الاختبار وتأتي الأزمة فيكون **الإنجاز الحقيقي هنا هو الامتثال لربّ العالمين**، يأتيه ما تعرفون من الابتلاء بأن يرى في المنام أنَّه يذبح ابنه، فينجز هو وابنه عليهم السَّلام وعلى نبيّنا أفضل السَّلام وأتم التَّسليم، فيقول له ابنه:{افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ}[4]؛ نعم هذا هو الإنجاز، أن يقوم بالعبودية في كل موطن لها يقوم بها، ثمَّ تجد هذه الاستعانة في

---

[1] سورة الأنبياء آية : (٧٣).

[2] سورة الصافات آية (٩٩).

[3] سورة الصافات آية (١٠١).

[4] سورة الصافات آية (١٠٢).

كلام هذا الابن ما قال "ستجدني صابرًا"، بل قال: {إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[1] إن شاء الله فأنا مستعين بالله ولا أستطيع أن أفعل إلا بإذن من الله، فيكون هذا التصرف في الاستسلام لله والرضا بما حكم الله يكون سبب لرفعة عظيمة، وصل لآخر حد من الاستسلام {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}[2]، فناداه ربّ العالمين قد قمت بما يجب عليك قد أنجزت وكنت محسنًا في ذلك الإنجاز {قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[3] اختبارات ويكون الإنسان في مثل هذه الاختبارات في غاية الاضطراب والانزعاج إذا لم يكن متمسكًا بحبل الله، فذلك الإنجاز أنَّك تبذل جهدك وقت الأزمات تعرف أنَّك في اختبار وأنَّه ما عليك إلا الاستعانة بالله والاهتداء به واليقين بوعده وامتثال أمره، وأنَّه سيخرجك من هذه الأزمات سالما غانمًا رفيع القدر رفيع الأجر، ولذلك {إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ}[4]؛ لذلك سلّم الله على إبراهيم {إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[5].

فانظروا إلى هذه الإنجازات الحقيقية التي تكون حقيقتها هي العبودية لربّ العالمين، وتصوروا هؤلاء المباركين الذين ذكرهم الله ربّ العالمين كيف أخبر عنهم سبحانه وتعالى بصفة غاية في الأهمية تكون هي أصل الإنجازات، ما هي هذه الصفة إنَّها صفة الذكر للدار الآخرة {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ}[6]، ما هي هذه الخالصة؟

{ذِكْرَى الدَّارِ} ذكرى الدار الآخرة، وهذه الآية في سورة ص أتت بعد الخبر عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ووصفهم الله -عزَّ وجل- بأنَّهم {أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}[7]، يعني أنهم كانوا أقوياء في إقامة الدين، {الْأَيْدِي} من الأيد يعني القوة، فكانوا أصحاب قوة في دينهم وكانوا بصيرين يتبصرون الحقائق ويعرفون الوظائف التي تُطلب منهم فلهم بصيرة في قلوبهم ولهم قوة على هذه البصيرة يبذلون جهدهم، ما أعظم حالهم وما أعظم إنجازاتهم.

---

[1] سورة الصافات آية (١٠٢).
[2] سورة الصافات آية (١٠٣).
[3] سورة الصافات آية (١٠٥).
[4] سورة الصافات آية (١٠٦).
[5] سورة الصافات آية (١٠٥).
[6] سورة ص آية (٤٦).
[7] سورة ص آية (٤٥).

{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}[1] الله –عزَّ وجل- يأمر رسوله بأن يذكرهم ويبقى متذكرًا لأحوالهم ولقوتهم في دينهم {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم} فيخبر –عزَّ وجل- عن علّة هذه القوة، {أَخْلَصْنَاهُم} بمعنى طهرناهم، {بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} معنى ذلك: أنَّ الله -عزَّ وجل- يخبرنا عن سبب قوتهم وسبب إنجازهم وسبب استمرارهم وثباتهم، الباء هنا {بِخَالِصَةٍ} للسببية، ما السبب أنَّ الله أخلصهم بذكرى الدار، يعني الدار الآخرة فلا ينسون الآخرة، ولا يقبلون على الدُّنيا إقبال النَّهم الذي يرى أنَّ هذا هو مكانه، يعني أنَّ الدار التي هي محل عنايتهم واهتمامهم هي الدار الآخرة، والنبي ﷺ يقول: (مالي وللدُّنيا)، تصوروا هذا المعنى: (مالي وللدُّنيا إنما مثلي ومثلُ الدُّنيا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راحَ وتركها)[2]، وفي رواية أخرى: (ما أنا في الدُّنيا) ما أنا في الدنيا إلا بهذا المثل، وهذا الكلام قاله النبي ﷺ لمّا نام ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه هذا الحصير، فالصحابة رأوا أن هذا أمر عظيم أن يصيب النبي ﷺ فقالوا له: نأتي لك بفراش ناعم تنام عليه فقال لهم: (ما لي وما للدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ -سائر- استَظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وترَكَها)[3].

فهذه الذكرى للدار الآخرة هي التي تجعل الإنسان يركز على وظيفته وينجز الإنجازات الحقيقية، ويعتني اعتناء تامًا في أن يكون مباركًا أينما كان، هؤلاء أخلصهم الله بخالصة، وهي ذكرى الدار الآخرة فبهذا سيكون إنفاقهم وأوقاتهم وأموالهم وجهودهم واهتماماتهم أن يكونوا في الدار الآخرة خير الخلق، أن يكونوا عاملين لها، فتذكَّروا هؤلاء الذين رفعهم الله، تذكروا هؤلاء الذين لهم مكانة عند الله، تذكروا هؤلاء الذين في السَّماء لهم صيت مذكورين عند ربّ العالمين فلا يذهب ذكرهم ولا تذهب إنجازاتهم؛ إنَّما هم أئمة للخير.

---

[1] سورة ص آية (٤٥).

[2] أخرجه الترمذي.

[3] صحيح الترمذي.

تذكروا أنَّ أهم صفة لهم ليكونوا أقوياء أولي أيدٍ وأبصار (بصيرة) أنَّهم باقٍ تذكرهم للدار الآخرة فيعالجوا كل مسألة بهذه الطريقة، فيسأل نفسه الآن هذا الذي سأفعله وسأقضي فيه وقتي هل هو إنجاز هنا عند أهل الأرض؟ أم هو إنجاز عند رب السماء، فعل يرضاه الله؟ فتجد جهوده مبذولة أن يقوم بوظائف العبودية إذا جاءت في كل فرصة، وإذا جاءت وظائف العبودية من جهة الصبر على الأزمات تجده يتجاوز الأزمات، وإذا جاءت وظيفة العبودية من جهة طرد الأفكار والمشاعر التي تفسد على الإنسان حياته وتجعله يمكن أن يسيء الظن بربه فتجده ينجح في ضبط نفسه.

إذا أتته فرصة لنفع غيره يسارع في ذلك مستعينًا بالله طالبًا رضاه، فتجده مبارك يقوم بتزكية نفسه وإصلاحها، ينفع غيره، يراجع نفسه، ينجز بأن يعود عن الخطأ فيتوب، ينجز بأن يترك العادات السيئة، يترك الأمور التي يمكن أن تكون دخلت عليه فأصبحت بمثابة الإدمان، وها نحن نجد أنَّ كثير من الكبار والصغار الأتقياء الذين يعرفون الله قد سرقت أوقاتهم هذه الأجهزة فباتوا بلا إنجاز، تضيع أوقاتهم الشريفة، وتفسد نفوسهم بعد أن كانت في حال زكاة فيذهب الإنجاز وتضعف العزائم، أو نجد البعض يفسد على نفسه الحياة بجعل الإنجازات مقتصرة على أمور الدُّنيا ويقارن نفسه بغيره فيفسد على نفسه ما كان منجزًا من الرضا عن الله، فيتحول بعد أن كان راضٍ فيكون حاسد ويكون حاقد فينظر في أموال النَّاس وينظر في دنيا النَّاس وينظر لما يفعل النَّاس بعد أن كان في سلامة من هذا كله، ولا يدري المسكين أنَّ هؤلاء الذين ربّما يكونون قد عمّروا دنياهم -هذا إذا كانوا صادقين- بما يظهرون من أموالهم وممتلكاتهم حق لا يدري هذا أنَّ هذا وهم، فآية تُحفظ من كتاب الله يعمل بها صاحبها، ولمّا يدخل الجنة يقال له: (اقرأ وارتَقِ ورتّل كما كنتَ ترتّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها)[1]؛ آية تحفظها وترفعك درجة خير من الدُّنيا وما عليها. ركعتي سُنَّة الفجر تجمع قلبك فيها وتناجي ربك مناجاة الصادق، وتستفتح بها يومك إنجاز حقيقي، هذه الركعتان كما وصفها النَّبي ﷺ خير من الدُنَّيا وما عليها.

[1] صحيح أبي داوود.

فلنراجع هذه الإنجازات، ولنذّكر أنفسنا بالمنجزين الحقيقيين، سمعنا أمس عن نبيّنا الكريم وصحابته والتابعين وتابعي التابعين، واليوم سمعنا عن **إبراهيم عليه السَّلام** إمام الموحدين عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأتمّ التَّسليم، اذكروا هؤلاء فالله قد أمرنا بذكرهم، اذكروا إنجازاتهم فهي حقًّا الإنجازات التي يرضاها الله، اذكروا ما كانوا عليه من أحوال وما مروا به من أزمات، اذكروا **أيوب عليه السَّلام** وحاله مع المرض وكيف خرج منجزًا في تجاوزه للأزمة راضيًا عن ربه، فلنذكر هؤلاء الذين أمرنا الله بذكرهم، ولنثق أن الله عز وجل ما أخبرنا عنهم إلا وهو راضٍ عن سيرهم، يعلمنا أنَّ الإنجاز الحق والطموح الحق هو أن نسير في طريق هؤلاء مهما كان ضعفنا، ومهما كان عرجنا فلنسِر في طريق هؤلاء.

نسأل الله أن يوصلنا سالمين غانمين اللهم آمين، يتجدد بنا اللقاء إن شاء الله غدًا في نفس الموعد، السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّقاء الرابع- الأربعاء ٩ ذي القعدة ١٤٤٣هـ

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

نقف مع يوسف عليه السَّلام، وهو الفتى الكريم عند والده، الذي بسبب حسد إخوته تحوَّل إلى عبد بِيعَ في السَّوق واشتراه ذاك الرجل، ثم يكون هذا الرجل الذي اشتراه كريم، أمر امرأته بإكرام مثواه، ويُبتلى يوسف عليه السَّلام بهذه المرأة، فيكون الإنجاز هو الثَّبات على القيم.

هو في بيتها، عبد لها، {وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ}[1]، تصوّر كل هذا الإغراء وهو العبد الضعيف الذي خرج من دياره لا أحد يعرفه، حتى لو وقع في الفحشاء لن يكون هناك لوم عليه، ولكنّ كان الإنجاز في الثبات على القيم: العفاف والوفاء وكرم الأخلاق.

وهي في مقابل ذلك {غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ} وأمرته، {وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} يعني: بادر، تريد من ذلك إغراءه وإيقاعه، فيكون إنجازه اعتصامه برب العالمين {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ}[2] إنجاز عظيم، عرف أنَّ نفسه ضعيفة لكنّه استعاذ بالله بعد أن فعلت ما فعلت من تغليق الأبواب، هو امتنع واعتصم بالله {مَعَاذَ اللَّهِ}.

كم هو إنجاز أن يثبت الإنسان على الاستقامة، كم هو إنجاز أن يثبت الرجل والمرأة على طريق العفة رغم وجود كل الأسباب للوقوع في الجريمة ولسقوط الكرامة، لكن يأتي الإنجاز الحقيقي في أن يتمسك الإنسان بالعفاف والوفاء وكرم الخلق، فلا يكون عبدًا للأهواء.

وهنا نرى كيف كان من الله العون له، فقال الله عز وجل: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا}[3] وهذه الآية على التقديم والتأخير {وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ}[1] قدَّم الجواب وأخَّر

[1] سورة يوسف آية: (٢٣).
[2] سورة يوسف آية: (٢٣).
[3] سورة يوسف آية: (٢٤).

الشرط، معناها: (ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها)، معنى هذا أنه لما ابتدأ بالاستعاذة أعاذه الله لأن النفس ضعيفة، فكان الإنجاز الحقيقي هو الاعتصام بالله، فيعصمه الله ويحفظه الله، {لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ} فحفظه الله وعصمه الله ،- لولا ذلك- لوقع فيما يقع فيه هؤلاء الخلق من سفاسف الأمور.

فيا له من إنجاز! يُثني عليه رب العالمين فيقول: {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ}[1] فمن اعتصم بالله أعانه الله، ووجد من بَرْد اليقين ما يجعله مستقيمًا، ويجعله في نعيم الإيمان والتقوى، فانظر لهذا الإنجاز.

كانت أسباب حصول السوء والفحشاء موجودة محيطة به، لكنه كان متمسكًا بالله فانصرف عنه {السُّوءَ} أي: القبيح، وهي خيانة من ائتمنه، {وَالْفَحْشَاءَ} وهو الزنا، وهذا إنما هو من الشيطان كما أخبر سبحانه وتعالى في سورة البقرة: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ}[2].

إنه حقًّا الإنجاز والله عز وجل يقول: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[3]فقد كان في طريقه سائرًا إلى ربه ووقع له ما وقع فحماه رب العالمين، وقام بما يجب عليه، وهكذا في كل وقت الإنجاز أن تقوم بما يجب عليك، مهما أحاطت بك الأمور التي تجعلك تنصرف عن قيمك، تنصرف عن الدين القيم الذي يقيمك ويجعلك قائمًا على الحق.

وفعلت به ما فعلت {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ}[4]وحصل ما حصل -كما هو معروف-، وبعد ما فعلت قلبت المسألة عليه، أمّا أصحاب القيم، وأصحاب الحق المتمسكين به، الذين يرون الإنجاز هو البقاء على الصواب وعدم الافتتان بزوال القيم عن المجتمع، هكذا يدخلون في الاختبارات.

قلبت الأمور عليه وجعلته هو الخائن وهو المعتدي، حاشاه، صلى الله عليه وعلى نبينا أفضل السلام وأتم التسليم، لكن رب العالمين معه وما تركه، وهذا واضح ومتبين كيف

---

[1] سورة يوسف آية: (٢٤).
[2] سورة يوسف آية: (٢٤).
[3] سورة البقرة آية: (١٦٩).
[4] سورة يوسف آية: (٢٤).
[5] سورة يوسف آية: (٢٥).

{شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا}[1] ومضت هذه الجملة مَثَل في الأولين والآخرين، كيف الشاهد يكون من أهلها زيادة في إبراز الحق وبيان أن الله عز وجل مع هذا العبد. وتبيّن الحق لكن المجتمع الذي فشا فيه السوء والفحشاء، فشت فيه الخيانة والزنا وأسبابه لا زال يُحارِب العفيف، الكريم بن الكريم، فازداد الضغط عليه.

وانظر كيف يترقى في إنجازاته، انتهينا من امرأة العزيز وأتت نسوة في المدينة، وكادت امرأة العزيز بهن كيدًا ومكرت بهن مكرًا، كما في القصة {وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ}[2] ولاحظ موقف يوسف عليه السَّلام، تأمره وتنهاه لأنه عبد عندها لكنَّه الكريم بن الكريم، خرج عليهن، فعل مثلما أرادت، يعني دخل عليهن، فما كان منهن إلا أن وقع في قلوبهن إعظامه لمَّا رأين جماله وشمائله، وأجرين السكاكين على أيديهن يحسبن أنّهن يقطعن الفواكه. {وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ}[3] يعني: هذا إبطال شيء عن شيء، وأن هذا الشيء بريء من هذا الشيء، {مَا هَٰذَا بَشَرًا}[4] هذه مبالغة في تفضيل محاسنه، كأنهن يَقُلْن إن هذا ملك.

تصوَّر أنَّ يوسف عليه السَّلام يسمع كل هذا المديح الشديد، ومع ذلك ما يرى أن هذا هو الإنجاز، وليس هذا الجمال الذي يبهر هو الإنجاز، ولا إعجاب هؤلاء به هو الإنجاز، لا، أبدًا! بل **استعصامه** الذي كانت امرأة العزيز تقوله على باب اللوم، فكأنها تقول عن يوسف عليه السَّلام متخلف، استعصم، عصم نفسه، امتنع، جعل المراودة خطيئة وعصم نفسه منها، متخلف لا يعرف قيمة ما عُرض عليه!!، فهي لا تزال مصممة على مراودته، وتصرّح في هذا الموقف أنها وقعت في فرط محبته، لا زالت تفرض عليه بنوع عظيم من الكبر أنه يجب عليه ألا يعصي أمرها، وكأنها تقول رقبتك في يدي فعليك أن تتنازل عن قيمك، وما الذي يضرك أن تتنازل عن قيمك؟ تستعصم عن هذا العرض المغري؟! لو فعلت ما آمرك به سأعطيك وترقى ويحصل لك، وتعترف أنها تأمره.

فتصوّر كيف يكون هذا الهمّ العظيم، وهو عبد عندهم ليس له في هذا الموقف قوة ولا حيلة إلا أن يسأل الله العظيم أن يعصمه، فناجى ربّ العالمين، بعد ما وجد شدة

---

[1] سورة يوسف آية: (٢٦).
[2] سورة يوسف آية: (٣١).
[3] سورة يوسف آية: (٣١).
[4] سورة يوسف آية: (٣١).

عظيمة من هذا الكلام الذي قالته امرأة العزيز {وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ}[1] تهدده الآن بالسجن والصَّغار، تسجن وتكون مهانًا، في مقابل أنَّك لو فعلت ما تؤمر تُكَّرم وتعطى ويوسَّع عليك، وتجد منصبًا وراتبًا ومكانة، فمن كان يعتقد أنَّ هذه هي الإنجازات؛ الأموال والمناصب والمكانة والشهرة، فليرَ نهاية هذه القصة العظيمة، وليرَ كيف جعل الله يوسف عليه السلام في منزلة رفيعة.

تصور كيف يكون أثر هذا الموقف على يوسف الصديق، ناجى ربه، وبيَّن ما يجد في ضيق نفسه، وبيَّن أثر هذه الإغراءات، بيَّن أن السجن أحب إليه، فضَّل السجن مع ما فيه من الألم والشدة وضيق النفس على ما يدعونه إليه من الاستمتاع بالمرأة الحسنة النفيسة، على ما في هذا من اللذة، لكن **هذا هو الإنجاز**. كره الأمر المغري الذي يغري ضعاف النفوس، كره فعل الحرام ففضلّ مقاساة السجن على فعل الحرام، وفي هذا الموقف عرف أنَّ ما عنده محيص من أحد أمرين؛ إمَّا أن يسجن وإمَّا أن يتعرض إلى الضغوط الدائمة من هذه المرأة، وليس من امرأة واحدة إنَّما من جمهور النساء، جمهور المعجبين به، فلما علم أنَّه لا محيص من أحد الأمرين، صار السجن محبوبا إليه باعتبار أن السجن سيخلصه من الوقوع في الحرام. فهنا عُلِم بوضوح أن الإنجاز عند يوسف عليه السَّلام هو الخلاص من الوقوع في الحرام، حتى لو ضحَّى بحريته، فمحبته للسجن كمحبة الشجاع للحرب، كما أنَّ الشجاع يرى الحرب مكان لإنجازه في مقابل أنَّ الجبان يهرب منه، فكذلك يوسف عليه السَّلام رأى السجن مكان لإنجازه مقابل الدور والقصور والنساء الحسناوات اللاتي كنَّ يُرِدن إغراءه.

فقرر يوسف عليه السَّلام قاعدة عظيمة في باب الإنجازات، السجن أحب إليه من الاستمتاع بالمرأة، رضي بالسجن في مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه، كان خروجه من دائرتهم وشفاؤه من علتهم هو الإنجاز، يريد مكان لا يتعرض فيه لأنَّ يضغط عليه ويتنازل عن قيمه. فانظر إلى هذا الاعتصام بالله وإظهار أنَّه ما يريد إلا رضاه، انظر إلى هذه المشاعر العظيمة التي تكون من الإنسان المؤمن الذي يعرف أنَّه في كل حال مختبَر، هل يقوم بوظيفته أو لا يقوم، فإنجازه أن يقوم بوظيفته، ولا يكون قيامه بوظيفته إلا

[1] سورة يوسف آية: (٣٢).

بعون من الله؛ لذلك {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ}[1] يُظهر خوفه، ويُظهر لجوؤه إلى الله، وبراءته من الحول والقوة، والخشية من تقلب القلب ومن الفتنة بالميل إلى اللذة الحرام، {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ}[2] أميل إلى هؤلاء {وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[3] يخبر عن نفسه أنَّه يكون بهذا من السفهاء، ويكون بهذا خاسر، ويكون بهذا دخل في دائرة الخاسرين وابتعد عن دائرة الفائزين.

فحماه ربّ العالمين وصرف عنه كيدهن، كان معه ربّ العالمين وصرف عنه كيدهن وهذا من رحمته -سبحانه وتعالى-.

من رحمته بيوسف عليه السلام ومن رحمته -سبحانه وتعالى- بعباده المؤمنين، وهو -عزَّ وجل- دائمًا مع أهل الإيمان، لا يضيعهم مهما وقع عليهم من ضيق، فهو -سبحانه وتعالى- معهم ينجيهم، {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[4] صرف كيدهن عنه، وثبَّته -عزَّ وجل- على العصمة، فلم ينخدع لكيدها ولا لكيد من معها، فربنا سميع عليم سريع الإجابة؛ سمع الله لمن حمده -سبحانه وتعالى-، {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ}[5] صرف عنه ويصرف -عزَّ وجل- الكيد عن كل أهل الإيمان، {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[6].

سجنوه ولم يكن هذا إنقاصا في إنجازه، بل استمر الإنجاز حتى أنَّ السجناء يقولون {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[7] قام بوظيفته، قام بوظيفة عظيمة وهو في السجن، قام بدور من يدعو إلى الله، ويرشد إلى الحق ويبينه.

ربّ العالمين يعين المؤمنين، ما يتركهم مهما كان حال الإنسان، ومهما كان الضيق الذي يمر به، فإنَّه في نهاية الأمر تحت حكم الله، فما أقرب الله، ما أعظم الله! يهيء للعبد المواقف والأحوال التي تعينه على الإنجاز، دخل إلى السجن لكنه كان باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله، دعا إلى التوحيد واعترف بنعمة الله فقال لصاحبيّ السجن:

---

[1] سورة يوسف آية: (٣٣).
[2] سورة يوسف آية: (٣٣).
[3] سورة يوسف آية: (٣٣).
[4] سورة يوسف آية: (٣٤).
[5] سورة يوسف آية: (٣٤).
[6] سورة يوسف آية: (٣٤).
[7] سورة يوسف آية: (٣٦).

{أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ}[1]، كان على يقين أن الله الواحد القهار هو الذي بيده التصرف فكان يلجأ إليه ويناجيه ويطلبه.

{فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}[2]لما كان في هذه الحال لا نتصور أبدًا أنَّ بضع السنين هذه كانت سببًا لضعفه ولخوره ولبعده عن إنجازاته، إنَّما كان هذا ديدنه في كل هذه السنين ولا تظن أبدًا خلاف ذلك.

كل وقت يكون الإنسان فيه قائمًا بما أمر الله فهو منجز، نحن نسأل الله العافية، نعم! لكن لا تظن أن من ابتلاه الله فثبت ووقع عليه ما وقع، نقص ماله، نقصت حريته، لا تتصوره أنَّ لا قيمة له عند الله، هذا الزمن الذي كان فيه يوسف عليه السَّلام مسجون، كان أهل مصر يأكلون ويشربون ويعيشون حياتهم طبيعية، وهكذا في كل زمان يكون المنجزين متمسكين بقيمهم، صابرين على اللأواء، صابرين على ما يبتلون به بأي نوع من أنواع النَّقص والنَّاس منشغلين بحياتهم، هل تظن بهذا أنهم هينين على الله؟ هل لأن يوسف عليه السَّلام هين على الله تركه الله عز وجل في السجن؟ لا والله، ليس انشغال النَّاس بحياتهم عن المصلحين دليل على هوان أولئك الصالحين المصلحين المنجزين على الله، لا والله! قدْر هؤلاء المصلحين ومنزلتهم عظيمة عند الله، لكن هذه المنزلة ستظهر هناك وليس هنا، والله عز وجل جعل السجن ليوسف عليه السَّلام مصنع للصَّلاح والتربية، حتى لو كان نبي، فيهذبّ ويطهر ويفيض الله عليه من علمه حتى يخرج أهذب قلبًا وأنقى وأشد صبرًا، الخوف ليس على يوسف عليه السَّلام، ولا على أمثالهم من الذين اعتصموا بقيمهم وتمسكوا بها، إنما على المجتمع الذي يتنازل يومًا بعد يوم عن قيمه لأجل المادِّيات.

خرج يوسف عليه السَّلام في الموعد الذي قدره الله، لم يقدره لا الملك ولا الوزير، بل لما أراد الله خروجه أرسل الرؤيا سبحانه وتعالى، وأحدث المجاعة، وسبّب الأسباب حتى يخرج يوسف عليه السلام في أكرم حال، حتى أنه لما يأتيه رسولهم يقول لسجَّانه: {ارْجِعْ

[1] سورة يوسف آية: (٣٩).
[2] سورة يوسف آية: (٤٢).

إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ}[1] فلا تظن أن الإنجازات حفنة مال، أو صيت في الأرض، إنَّ الإنجازات صبر على التمسك بالقيم، الإنجازات شهرة في السَّماء، ورفعة عند خالق الأرض والسَّماء، الإنجازات اعتصام بالله، يتبرأ الإنسان من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، هذه هي الإنجازات.

وفي هذا الطريق تمتلئ قلوب هؤلاء المتمسكين بالحق علمًا وإيمانًا وتقوى، تمتلئ صفًاء ورقةً، ويذوق هؤلاء حلاوة لا يذوقها غالب النَّاس إلا من سار في نفس الطريق، يذوقون برد الإيمان.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يذيقنا برد الإيمان وأن يجعلنا من المعتصمين به، المتمسكين بالصِّراط المستقيم في زمن سهُل على النَّاس التنازل عن الصِّراط المستقيم فيه، والتنازل عن القيم العليا، فتجد هنا وهنا ما يؤذي السامعين، وتجد هنا وهنا ما يدل على تفلُّت النَّاس حتى من القيم الفطرية، فتجد ضعف في بر الوالدين، وضعف في الإحسان إلى المحتاجين، وتجد ضعف في عفَّة النَّفس وفي الأمانة وفي الوفاء، وكل هذا ما هو إلا جري وراء الحياة التي هي سراب في حقيقتها.

نسأل الله أن ينجِّينا جميعًا ويجعلنا من المتقين، اللهم آمين.

[1] سورة يوسف آية: (٥٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّقاء الخامس- الخميس ١٠ ذي القعدة ١٤٤٣هـ

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، هذا اللقاء هو نهاية لقاءاتنا التربوية حول مفهوم الإنجاز، مفهوم كبير ولا يمكن إجماله في هذه الدقائق، لكن من أجل ألا يكثر الكلام، ويُنسي بعضه بعضًا ونبقى متذكرين الحقائق المهمة، وهو أنَّ الإنجاز لا بد أن يكون مرتبط بفهمنا لوظيفة الحياة، وهذا يجعلنا لا بد أن نتذكر دائمًا ما هي وظيفتنا في الحياة، ونجدد العهد مع هذه الوظيفة.

أنت أيُّها العبد خلقك الله لمعرفته، وهذا أصل وظيفتك؛ معرفة ربّ العالمين، وقد أخبرنا ربَّنا عن هذه الوظيفة في كتابه، فبيَّن -عزَّ وجلَّ- أنَّه ما خلق السَّماوات والأرض ولا أنزل الأمر من السَّماء إلى الأرض إلا لهذه الغاية. فإذا تجاهل الإنسان هذه الغاية وتاه عنها لا بد أنَّه سيفقد المعيار لمسألة الإنجاز، الله العظيم يقول لنا: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} لماذا؟ {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}[1]، هذه هي الغاية العظيمة من خلق هذا الإنسان؛ "معرفة الربّ الرحمن".

فما أراده الله من خلق السماوات والأرض أن يعلم النَّاس قدرة الله على كل شيء وإحاطة علمه بكل شيء، ويعرفوا من هو ربّ العالمين، هذه هي الوظيفة، لأنَّ خلق تلك المخلوقات العظيمة وتسخيرها، وتدبير نظامها منذ أن خلق الله الخليقة إلى أن تقوم السَّاعة إنما كان من أجل أن يَدُلَّ المتفكرين المتأملين القائمين بوظيفتهم على ربّ العالمين، يدلّ المتفكرين المتأملين على أنَّ مبدع السَّماوات والأرض يقدر على كل شيء، -سبحانه وتعالى-، على هذه الخلقة في السَّماوات والأرض وفي الملكوت العظيم، وفي الفلك الذي يدور حوله فإنه يدور حول الخلق فلك عظيم، فيفكر الإنسان ويتأمل ويعرف أنَّ مبدعها يقدر على أمثالها فيستدل بذلك على أن الله على كل شيء قدير، فإذا كان -

[1] سورة الطلاق آية: (١٢).

سبحانه وتعالى- قادر على هذه الأمور العظيمة، فهو على ما هو أهون وأهون قادر، وأعظم وأعظم قادر، فيقيس الإنسان الغائب على الشاهد، ويستدل على أنَّ خالق هذه الأمور قادرٌ على ما هو أعظم.

ولْينظر الإنسان إلى هذه الوظيفة بعين الإجلال، ولينظر الصالحين جميعًا لهذه الوظيفة بعين الاحترام، وليهتموا بها غاية الاهتمام. ،كلما زدت تأملًا عرفت ربّ العالمين، وعرفت عظمته -سبحانه وتعالى وجلاله-، وعرفت ما له -عزَّ وجل- من كمال وجلال.

فانظر إلى تدبير تلك المخلوقات بهذا الإتقان المشاهَد في نظامها، أليس هو دليل على سعة علم مبدعها وإحاطته بدقائق كل شيء؟ فماذا تتصوّر! من ساق الرزق إلى داخل الأرض، وفي صخرة، أو في السماوات، كيف لا تعتقد أنه محيط بجميع الأشياء؟ إذن هذه هي وظيفتك في الحياة، وهذه هي حقيقة الإنجاز؛ {لِتَعْلَمُوا} فيتحول العلم من علم اليقين إلى عين اليقين، فكل يوم يرى ما يزيده يقينًا برب العالمين.

أتدري أيها المؤمن أن أعظم وظيفة هي هذه الوظيفة؟ أتدري أن هذا هو الإنجاز؟ أن تزداد كل يوم معرفةً بالله، وتعظيمًا له، ومحبةً له؟ إلى أن يتحول في قلبك هذا العلم من علم اليقين إلى عين اليقين فتشتاق لرب العالمين. لهذا نزّل الله الأمر، كل الأوامر الكونية والقدرية التي يدبر بها الخلق، كل هذا من أجل أن تعرف إحاطة قدرة الله بالأشياء، وإحاطة علمه بجميع الأشياء ومن ثم تعرف كماله المطلق سبحانه وتعالى، وهذا ما تحتاجه بداية الطريق ووسط الطريق وخلال الطريق إلى أن تصل، هذا هو الإنجاز.

إذا عرفت الله بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى وقعت في قلبك المحبة وأصبحت مكرّمًا عند الله، ستكون مكرّمًا عند الله، ستحصل لك الكرامة الإنسانية، ستحصل لك الطمأنينة النفسية، سيكون أعظم إنجاز للإنسان أن يحافظ على كرامته الإنسانية بالعبودية لرب العالمين.

هذه هي الغاية المقصودة من الخلق والأمر؛ معرفة الله والوقوف على بابه، قام بذلك الموفَّقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك الظالمون المعرضون، فأهانوا أنفسهم غاية الإهانة.

بمعنى أنَّ من سجد قلبه وبدنه للدُّنيا وللمادِّيات، صنع صنمًا في نفسه وكاد أن يكون عابدًا له، عظَّم نفسه وأراد أن يرفعها على الخلق فماثل قارون أو ماثل فرعون، هذا قد أهان نفسه، {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ}[1].

فمن فَهِم أنَّ هذه هي الوظيفة، وفهم أنَّ لهذه الوظيفة خلِق كل شيء، عرف حقيقة الإنجاز، وعرف أنَّ كل يوم يزيد فيه معرفة بربه ومحبة له، وإكرامًا لنفسه بطاعة الله، هذا يوم الإنجازات، ومن أهمل نفسه وأهانها بالجري وراء الدُّنيا ناسيًا حقيقة وجوده، مُهينًا لنفسه بالتعرض لهذه الأمور التي تنقص من قيمته، ويَظهر فيها من عيوب نفسه ما يَظهر، سيكون هذا مهما بلغ في شأن الدُّنيا، فهو ليس من أهل الإنجازات الحقيقية وإنَّما هو من أهل الإهانة لنفسه.

الإنجاز أن تكون الأيام والليالي التي تقطعك أيامًا ولياليًا تقطعها للقرب من الله وللقيام بوظيفتك الحقيقية في معرفة الله.

- الإنجاز أن تزداد كرامة بمعرفة الله.
- الإنجاز أن تزداد سموًّا عن سفاسف الأمور.
- وتزداد علوًّا في مكارم الأخلاق.
- وتزداد إقبالًا على إعمار غَدِك.

الإنجاز أن ترى أنَّ تحصيل مكارم الأخلاق لأجل الله هو غايتك في كل وقت وفي كل ساعة.

الإنجاز أن تقف بين يدي الله خاشعًا لله، تناجي الله فتنتهي من الصَّلاة وقد قُبِلَت منك، يا لعظمة هذا الأمر!

وانظر **لابن عمر-رضي الله عنه-** في موقفه مع ابنه سالم وهو من أحب أبناء ابن عمر إليه، فمرَّ على ابن عمر سائل فقير يسأل، فمدَّ ابن عمر بما يتيسر له، وابنه سالم معه، فقال له سالم: (تقبّل الله منك يا أبي)، فبكى ابن عمر، وقال: (لو كنت أعلم أن الله قد

[1] سو الحج آية: (١٨).

تقبل مني مثقال حبة لتمنيت الموت)، ثم قال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[1]، وفي بعض الروايات أنَّه قال: (لو عَلِمْتُ أنَّ الله تَقَبَّل مِنِّي سَجْدة واحِدَة، أوْ صَدَقة دِرْهم واحِد لم يَكُن غَائب أحَبّ إليّ مِن الْمَوْت). ثمَّ وجَّه الكلام لابنه سالم: (أتَدْرِي مِمَّن يَتَقَبَّل الله؟ {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}. بهذا رأى أنَّه أنجز فتمنّى الموت، وصل إلى مقصوده؛ أن يتقبل الله منه، فما أشدَّ غربة هذا المعنى والنَّاس يجرون وراء الدُّنيا.

وكلنا تأتي الدُّنيا فتخطفنا لكن المقاومة المقاومة، المراجعة المراجعة، المحاولة بعد المحاولة، يجب أن تحاول أن تصلح هذه المفاهيم، لا بد أن نصلح المفاهيم من أجل أن نستقيم، لأنَّ الاستقامة لا تكون إلا بتغيير التفكير، بتغيير فهم الأمور، وهاهم النَّاس حياتهم كلها يتنازعون حول ما هو الحق وما هو الباطل؟ يتنازعون حول المفاهيم، هل نحن في فَهَم صحيح أو لسنا في فهم صحيح؟ هل نفهم الأمور كما ينبغي أو لا نفهمها كما ينبغي؟!.

هو خير أن يستفيق الإنسان على نفسه ويراجع نفسه ويراجع مفاهيمه ويسأل هل فهمت الموضوع بشكل صحيح؟ هل فهمت الإنجاز بشكل صحيح؟ لماذا أنا أجري مع الجارين؟!، هل أفهم الوظيفة التي أعيش لها بشكل صحيح؟!

هكذا نفهم أنَّ الرسول ﷺ وهو الرسول الموحى إليه يقول في دعائه كل يوم في قيام الليل: "أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفونَ اهدِني لما اختُلِفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِكَ"[2]، لا تعش مطمئن أنَّك تفهم كل شيء، اطلب من الله أن يوضح لك الحق دائمًا ويرشدك إليه، ويبيّنه لك، ويجعلك في سلامة من شأنك، في سلامة من الأهواء.

أن تسلم من الأهواء؛ هذا أمر عظيم، لذلك كان السلف يقولون: (لا ندري أي النعمتين أعظم، أن هدانا للإسلام أم سلّمنا من الأهواء)، لهذه الدَّرجة المسألة عظيمة، وهذا الكلام قد ذكره كثير من السَّلف، ومن ذلك أبو عالية -رحمه الله- وهو من العلماء الذين ثبَّتهم الله في حياتهم إلى مماتهم، يقول: (نعمتان لله علي، لا أدري أيهما أعظم أن

---

[1] سورة المائدة آية (٢٧).

[2] أخرجه مسلم.

هداني للإسلام أو عافاني من الأهواء)، أن تكون قد عوفيت من الأهواء؛ هذا أمر عظيم، وهذا القول نُسب مثله إلى مجاهد -رحمه الله-.

بهذا نفهم أنَّ الإنجازات الحقيقية أن تثبت على الحق بعد أن اتضح لك، مهم جدًّا أن يتضح لك الحق، والحق في أصله هو سؤال محدد، لكن كثيرًا ما يتوه الإنسان في إجابته، ما هي وظيفتي في الحياة؟ لأنَّ الإنجاز إنَّما يكون معتمد على معرفتك لوظيفتك، فإذا عرفت الوظيفة عرفت كيف تقيس إنجازاتك، وإذا جهلت الوظيفة جهلت إنجازاتك.

ملخص الكلام الماضي:

الإنجاز الحقيقي أن تثبت على الحق، والحق ستفهمه لو عرفت وظيفتك، وربنا أرشدك ما هي وظيفتك؛ وظيفتك أن تعرف الله معرفة تملأ فؤادك بحبه والشوق إليه، والخوف من سخطه، الخوف من الطرد من على بابه، فتحبه حبًّا يجعلك دائمًا في طاعة له، دائمًا وصفك المستسلم له، الطائع العابد، الذي لا يغادر باب سيده ومولاه، بل هو في تمام الشوق إليه، كل يوم تزداد من هذا الأمر، وتراه نعمة عظيمة عليك، ترى أنَّ الإنجاز أن تكون صاحب كرامة، أنَّ الكرامة هي أن تكون واقفًا على باب الله وليس على باب غيره، وتكون ممتلئًا بشعور الكرامة، وتعرف أنَّ من يُهِنِ الله فما له من مكرم، فتخاف أن تكون ممن أُهينوا، وتطمح أن يكون هذا إنجازك، أن تكون ممن أكرمه الله، يا لها من نتيجة عظيمة.

فإذن المطلوب أن تعرف الطريق وتلزمه وتثبت عليه، فالواجب علينا أن نشكر ربنا أن هدانا للإسلام، وجعلنا من أمَّة خير الأنام ﷺ، الواجب أن نشعر أنَّ الثبات هو أعظم الإنجازات في زمن المتغيرات، ملازمة الصِّراط المستقيم والمداومة على الطاعة والحذر من الوقوع في الأهواء، هذا هو الإنجاز، وبهذا تحصل الخيرات، وتنزل الرحمات، ويصل الإنسان إلى أعلى المقامات في جنات النعيم، وتتحقق الكرامات في الدُّنيا والآخرة، بهذا تطمئن النفس، ويحصل اليقين ويُرضِي العبدُ ربَّ العالمين، ويجد الإنسان حلاوة الإيمان وطمأنينة النفس وراحة البال، وبرد اليقين. {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ

مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ}[1]، نسمع ربّ العالمين يقول:{أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} لماذا ليس بخارج منها؟ {كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[2].

الإنجاز الحقيقي الثبات على الحق والمبادئ والقيم، وليس تحصيل أمور من سفاسف الأمور، يجدها كل لاهث في الدُّنيا ويجدها كل عابث، لا يتميز الإنسان إلا لما ينتصر في معركة الطاعات والأهواء والرغبات والشهوات.

ومهما وقع من الإنسان خطأ فالحمد لله باب الله واسع، وهنا ستكون التَّوبة والعودة لربّ العالمين هي الإنجاز، لأنَّ التائب علم أنَّ له ربّ يغفر الذنوب فأقبل عليه، ولذلك استحق هؤلاء التائبون أن يفرح بهم ربّ العالمين، لأنَّ الله يفرح بتوبة العبد، فهذا إنجاز في حياتك، فأنت مهما أخطأت فالتَّوبة والعودة هذه هي الإنجازات، أمَّا الغرق في الغلط فهذه هي الإهانة للنَّفس.

الثَّبات هو الانتصار، هو الإنجاز، لذلك استحق الثَّابتون المستقيمون أن تتنزل عليهم الملائكة في الحياة الدُّنيا لتطرد عنهم الخوف والحزن وتبشرهم بالجنَّة، بل وتعلن وقوفها إلى جانبهم في الدُّنيا والآخرة، {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}[3].

كوننا نتذكر هذا الأمر ونتذكر أنَّ الإنجاز الحقيقي هو أن نثبت في زمن المتغيرات وفي زمن سقوط كثير من الرموز، هذا يؤدي إلى أن نتمسك بالدُّعاء، كان من دعاء المصطفى ﷺ في صلاته: "اللَّهمَّ أنِّي أسألُكَ الثَّباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ عَلَى الرُّشدِ"[4].

وكان من هديه ﷺ المداومة على الأعمال، ولذلك قال: "أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدْوَمُها وإن قَلَّ"[5] وهو ﷺ الذي علّمنا أنَّ الثبات على الطاعة ولزوم الصراط المستقيم عزيز

---

[1] سورة الزمرآية: (٢٢).

[2] سورة الأنعام آية: (١٢٢).

[3] سورة فصلت آية: (٣٠).

[4] صححه الألباني.

[5] أخرجه البخاري ومسلم.

وعظيم لا سيما مع فساد الزَّمان، وكثرة المغريات، وتتابع الشهوات، وكثرة الشبهات، وضَعف المُعين.

الثبات على الطاعة هو الإنجاز العظيم فأخبرنا ﷺ بذلك فقال: "بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ" لما تأتي هذه الفتن أنتم بادروا بهذه الأعمال، "يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"[1]، لذا فليكن الإنجاز منّا دوام مراقبة اضطراب أنفسنا والملاحظة الدائمة لمشاعرنا، هل أصبحت تستسيغ الباطل؟ فلنُبعد عن مواطن الهوى، ولنتمسك بالحق، ولنكثر من "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ".

أعظم الإنجازات حفظ القلوب وحفظ الألسنة، لأن "فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ"[2]، **وكما أخبر النَّبي** ﷺ: "لا يَسْتَقِيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يَسْتَقِيمَ قلبُهُ، ولا يَسْتَقِيمُ قلبُهُ حتى يَسْتَقِيمَ لسانُهُ"[3]، **فهذا القلب شديد التقلب** "لَقَلْبُ ابنُ آدمَ أشدُّ انقلابًا مِنْ القِدْرِ إذا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيانًا" [4]؛ **أو كما في رواية** "إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلْيًا".

المقصود أن يكون مفهوم الإنجاز أمرًا واضحًا، وأن يكون دعاؤنا صادقًا في أن نصل إلى حقيقة الإنجازات، وأهمها وأعظمها: **الثبات على دين الله**.

ولنبحث عن الأسباب التي تعيننا على الثبات، ولْنُلِح على الله في الدعاء أن يثبّتنا، وأن يكون منّا رضى بما قسم الله لنا وبما ابتلانا به، ولنتخلق بأخلاق الثَّابتين التي من أعظمها الصَّبر، فما أعطي أحد عطاء خير وأوسع من الصبر.

ولنأخذ بأعظم الأسباب لهذا الإنجاز الذي هو الثبات وهو: التحصّن بالعلم الشرعي فإنه يجلو العمى ويبدد الشبهات، ويقود صاحبه إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا التباس، ولتكن مواقف الصالحين في الثبات على الحق أمام أعيننا.

---

[1] صححه الترمذي.

[2] متفق عليه.

[3] حسنه الألباني.

[4] صححه الألباني.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن فهم الحق، وثبت على الحق، والتزم بالحق، ودعا إلى الحق، وامتلأ فؤاده بنماذج الحق التي أنجزت حقًّا وأصبحت نموذجًا رفعها الله في تاريخ الإنسانية، امتلأ كتاب الله بهذه النماذج وفاضت السُّنة النبوية علينا بأخبار عنها، وحفظ لنا التاريخ من تقدمونا من أهل الإنجازات الحقيقية التي سجلها التاريخ لأنَّ الله رفعهم وحفظ ذكرهم، وكم مذكور في السَّماء لا يعرفه أهل الأرض لكنه لا يضره، وكم أناس في قبورهم يعيشون أنعم النَّعيم بما جعل لهم ربّ العالمين من طيبٍ لقبورهم، وروح وريحان لأرواحهم، وكانت إنجازاتهم حقيقية وليست وهمية، كانوا سائرين يفكرون في غدٍ الحقيقي، وليس الغد الوهمي.

لذا **أعظم الإنجازات** أن يلتفت الإنسان عن الشُّهرة عند أهل الأرض، ليطلب صِيتَا عند ربّ الأرض والسماوات، ليثبت على هذا الطريق ويموت عليه، يستبشر الإنسان لمّا يجد أحدًا قد مات وهو لم يفتن بأمر الله، وبقي ثابتًا على دين الله، والله إنَّها هي السَّلامة والإنجاز.

اللهم ثبِّتنا إلى أن نلقاك، واجعلنا ممن فهم الحق وثبت عليه، ودعا إليه وقُبِضَ غير مفتون، اللهم أجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة، اللهم آمين.

إن شاء الله إلى لقاء قادم في مفهوم جديد من المفاهيم التربوية التي يجب أن تصحح وأن تظهر، من أجل أن تصلح النُّفوس وتستقيم الحياة، هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

تمَّ بحمد الله